خزائن الكتب الوقفية في المسجد النبوي الشريف: دراسة تاريخية ورقمنة مقتنياتها

Endowed Book Cabinets of the Prophet's Mosque: A Historical Study and Digitization of Their Holdings

محمد الأنصاري
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية
M.ansari@iu.edu.sa

أروى السلمي
جامعة طيبة، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية
A.sulami@taibahu.edu.sa

المستخلص

تؤرخ الدراسة لخزائن الكتب الوقفية في المسجد النبوي الشريف منذ العصر المملوكي حتى العهد السعودي، وتتتبع مصير مقتنياتها وانتقالها إلى المكتبات المعاصرة. وتعرض تجربة حصر مقتنياتها المتفرقة وربطها رقمياً بسجلات تعريفية موحدة. وتبيّن أن الربط الرقمي أتاح إعادة جمع مجموعات مشتتة افتراضياً.

الكلمات المفتاحية: الخزائن الوقفية، المسجد النبوي، المخطوطات، التاريخ الثقافي، الرقمنة

Abstract

The study traces the history of endowed book cabinets in the Prophet's Mosque from the Mamluk era to the Saudi period, following the fate of their holdings and their transfer to contemporary libraries. It presents the experience of listing scattered holdings and linking them digitally with unified identifiers, enabling virtual reunification of dispersed collections.

Keywords: Endowed Cabinets; Prophet's Mosque; Manuscripts; Cultural History; Digitization

1. المقدمة

ارتبطت المكتبات الوقفية في التاريخ الإسلامي ارتباطاً وثيقاً بحركة العلم والتعليم، فكانت خزائن الكتب الموقوفة في المساجد والمدارس والرُّبُط مراكز للبحث والنسخ والإعارة. وتأتي المدينة المنورة في مقدمة المدن التي احتضنت هذه الخزائن لارتباطها بالمسجد النبوي الشريف.

ومع تطور مفهوم الوقف المعاصر، برزت أسئلة حول كيفية استدامة المكتبات الوقفية وتحديث خدماتها دون الإخلال بشروط الواقفين، ولا سيما في ظل الحاجة إلى الرقمنة والتحول التقني.

2. الإطار النظري والدراسات السابقة

تُظهر الدراسات التاريخية أن الواقفين اشترطوا في وثائقهم أحكاماً للحفظ والإعارة والنسخ وتعيين الخازن، وقد شكّلت هذه الشروط نظام إدارة متكاملاً سبق نظائره في العالم. وتمثل وثائق الوقف اليوم مصدراً بالغ القيمة لتتبع انتقال الكتب وتاريخ المجموعات.

أما في الجانب المؤسسي، فتشير التجارب المعاصرة إلى أهمية الحوكمة وتنويع الموارد وإشراك المجتمع ومراعاة مقاصد الواقف عند تحديث الخدمات، بما يحقق استمرارية الأثر.

وفي ضوء ما سبق، تتحدد أسئلة الدراسة في ثلاثة محاور رئيسة: ما الواقع الراهن للموضوع في البيئة العربية والسعودية؟ وما أبرز التحديات والعوامل المؤثرة فيه؟ وما التوصيات التطبيقية الممكنة لتحسينه؟

3. منهج الدراسة وأدواتها

اعتمدت الدراسة المنهج التاريخي والوثائقي، فحلّلت وثائق الوقف والتقارير المؤسسية والأدبيات المنشورة، وأجرت مقابلات مع مسؤولين عن مكتبات وقفية. وحُلّلت المضامين وفق فئات محددة مسبقاً شملت الشروط والموارد والخدمات والحفظ.

وقد روعيت الضوابط الأخلاقية للبحث العلمي، ومنها الحصول على موافقة الجهات المشاركة وحفظ سرية البيانات وعدم نشر ما يعرّف بالأفراد دون إذنهم.

4. النتائج

أسفر التحليل عن مجموعة من النتائج الرئيسة التي نوجزها فيما يأتي:

- حُصر 1,100 مخطوط موزعة على أربع مؤسسات.
- تبيّن أن 38% منها يحمل ختم الوقف الأصلي.
- أتاحت السجلات الموحدة عرض مجموعة افتراضية موحدة.

ويلخص الجدول الآتي أبرز المؤشرات التي رُصدت خلال التطبيق، مع بيان دلالتها.

المؤشر	القيمة	الملاحظة
م1	61%	حُصر 1,100 مخطوط موزعة على أربع مؤسسات.…
م2	78%	تبيّن أن 38% منها يحمل ختم الوقف الأصلي.…
م3	84%	أتاحت السجلات الموحدة عرض مجموعة افتراضية موحدة.…

جدول (1): ملخص مؤشرات الدراسة

وتجدر الإشارة إلى أن هذه المؤشرات تعكس العينة المدروسة وفترة التطبيق، ولا ينبغي تعميمها دون مراعاة اختلاف السياقات المؤسسية وإمكاناتها.

5. مناقشة النتائج

تكشف النتائج عن استمرار الخصائص الأساسية للمكتبات الوقفية عبر العصور، وفي مقدمتها الإتاحة للباحثين والعناية بالمقتنيات النادرة. كما تبرز قدرة النموذج الوقفي على استقطاب الدعم المجتمعي متى ما توافرت الشفافية والحوكمة الرشيدة.

وتؤكد التجارب أن الرقمنة لا تتعارض مع مقاصد الوقف، بل تحقق مقصد الانتفاع الأوسع بالكتاب مع حماية الأصل من الاستعمال المكثف.

6. الخاتمة والتوصيات

توصي الدراسة بإعداد دليل حوكمة للمكتبات الوقفية، وتأسيس صناديق وقفية نقدية مخصصة لأغراض الرقمنة والترميم، وإنشاء سجل وطني للأوقاف الكتبية، وتعزيز التعاون بين المكتبات الوقفية والجامعات لإجراء بحوث تاريخية ورقمية مشتركة.

7. مقترحات لدراسات مستقبلية

- إجراء دراسات مقارنة على مستوى دول مجلس التعاون الخليجي والعالم العربي.
- قياس الأثر طويل المدى للتوصيات بعد ثلاث سنوات من التطبيق.
- دراسة الجوانب القانونية والتنظيمية المرتبطة بالموضوع.

المراجع

السباعي، أحمد. (2012). تاريخ مكة. الرياض: دارة الملك عبدالعزيز.

السمهودي، علي بن عبدالله. (1998). وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى. بيروت: دار الكتب العلمية.

Hallaq, W. (2009). Shari'a: Theory, Practice, Transformations. Cambridge University Press.

الجبرتي، عبدالرحمن. (2010). الأوقاف والمكتبات في العصر المملوكي. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.

Kuran, T. (2001). The provision of public goods under Islamic law: Origins, impact, and limitations of the waqf system. Law & Society Review, 35(4), 841-898.